في حوار مع رئيسة لجنة الأدبيات في رابطة الأدب الإسلامي العالمية:

الدكتورة رجاء عودة:

الأدب الإسلامي أدب حياة

دكتورة رجاء محمد عودة أكاديمية عصامية ، وأديبة إسلامية تعد قدوة ومثلا للمرأة المسلمة في الجمع بين القيام بواجباتها الأسرية زوجة وأما، وبين طموحها في إكمال تعليمها حتى بلغت قمة الهرم التعليمي الأكاديمي أستاذة جامعية.

فرغم زواجها المبكر في المرحلة المتوسطة فقد تابعت تعليمها بالانتساب إلى جانب ابنتها وفي الصف نفسه في المرحلة المتوسطة والثانوية ثم الجامعية.

وهي بعد ذلك كاتبة وأديبة إسلامية تسير في الحياة على بصيرة ، حاملة عبء الدعوة الإسلامية من خلال الكلمة الأدبية الهادفة حتى اختيرت من قبل رابطة الأدب الإسلامي العالمية رئيسة للجنة الأدبيات فيها خلفا للأديبة الإسلامية الكبيرة سهيلة زين العابدين حماد، وقد أجرينا معها هذا اللقاء:

حوار: شمس الدين درمش

*** نرجو إعطاء القراء والقارئات موجزاً عن مراحل حياتك العلمية والعملية .**

تزوجت قبل الحصول على الشهادة المتوسطة لظروف عائلية، ثم أنجبت خمسة أولاد، لكن جذوة حبي للعلم ومتابعة الدراسة التي تركتها مرغمة ما زالت تتقد في نفسي، حتى إذا أتيحت لي الفرصة، أقبلت عليه إقبالاً شديداً. وبهذه المناسبة لن أنسى فضل المملكة العربية السعودية علي بإتاحتها الفرصة للطالبات المتزوجات اللواتي لم تساعدهن الظروف الأسرية بمتابعة تعليمهن قبل الزواج باستكماله بعد الزواج في المدارس النظامية بيسر وسهولة، وفي أية مرحلة، مع توفير كافة الحوافز المتاحة للطالبة غير المتزوجة، وبالنسبة لي .. فقد بدأت رحلتي الدراسية بعد الزواج عندما طرحت الرئاسة العامة لتعليم البنات – جزى الله القائمين عليها خير الجزاء – نظاماً جديداً لامتحان الشهادة المتوسطة وهو نظام (السنة الواحدة) حيث يتاح للطالبة امتحان ثلاث السنوات بامتحان واحد .

ومما ساعد على الانبعاث النفسي للدراسة أن ابنتي الكبرى كانت تدرس معي في المرحلة نفسها، فكانت رفيقة دربي العلمية لعدة سنوات . حيث حصلنا على الشهادة المتوسطة معاً، ثم على الثانوية، إلى أن انتهت تلك الرحلة بالدكتوراه، مع اختلاف التخصص، وكان نجاحي في المرحلة المتوسطة قوة دفع خفية، إذ كانت بمثابة الخطوة التي يقطعها المرء لمسافة الألف ميل، تلك التي توجت – بفضل الله – بدرجة الدكتوراه في اللغة العربية مع توصية اللجنة المناقشة بطباعة الرسالة .

*** هل الزواج المبكر عقبة في سبيل التحصيل العلمي أمام الفتاة الجامعية؟ نرجو الإجابة من خلال تجربتك الشخصية .**

لم يكن الزواج عقبة في سبيل التحصيل العلمي، إذا توافرت العزيمة الصادقة، ومساعدة الزوج وتشجيعه، ثم بتنظيم الوقت واستغلاله في حقل الدراسة . ومن واقع تجربتي الذاتية لم يكن الزواج عائقاً لي، لأن الدراسة كانت أمنية غالية في حياتي، فحرصت على اغتنامها عندما سنحت لي الفرصة، وكان زوجي- جزاه الله خير الجزاء - خير مشجع لي ومسانداً على تجاوز العقبات التي صادفتني، وكنت أستغل كل دقيقة من وقتي للدراسة والتحصيل، حتى عندما أقوم بأعمالي المنزلية كانت كراسة المحاضرات والكتاب الجامعي يرافقاني إلى المطبخ، حيث لم يكن لدي وقت كافٍ للدراسة دون إنجاز الأعمال المنزلية، ولم تكن لدي حينئذٍ مساعدة في المنزل تتحمل عبئا من هذه الالتزامات . هذا فضلاً عن العناية بأولادي الستة تربوياً ودراسياً، وكانوا بحمد الله متفوقين دراسياً .

وإلى جانب ذلك كنت بعيدة عما يشغلني عن جو الدراسة، فمثلاً كنت لا أزور ولا أزار إلا للضرورة القصوى، حيث كنت أعتبر ذهابي إلى الجامعة منطلقاً ترويحياً يغنيني عن النزهات الأخرى . وكنت أستمتع حقاً في أجواء الجامعة، وأشارك بمعظم الأنشطة الثقافية، ونلت بعض جوائزها في مسابقة القرآن الكريم، والقصة القصيرة .

وكان حب المنافسة العلمية ميداناً ممتعاً لإثبات الذات، واستثمار الوقت، وعدم الإحساس بالفارق العمري مع الزميلات . والحمد لله أثمرت هذه الخطة للدراسة، فقد حصلت على درجة البكالوريوس بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف، وكنت الأولى على دفعة التخرج لذلك العام .

أما مراحلي العملية، فقد عينت معيدة، ثم محاضرة، فأستاذاً مساعداً لمادة الأدب القديم . إلى جانب تعييني رائدة للنشاط الثقافي والعلمي والفني في مركز الدراسات الجامعية للبنات في جامعة الملك سعود

*** من اهتماماتك التي ظهرت في حياتك العلمية العناية بالأسرة في الأدب العربي القديم، نرجو إعطاء فكرة عن مضمون رسالة الماجستير : (شعر الأسرة في العصر الأموي) .**

كان اختياري لموضوع الماجستير ثمرة بحث دائب حول نوع من الشعر يتجاوز المواقف الرسمية، وشعر المناسبات إلى شعر يتغلغل في أعماق الحياة، ويؤدي وظيفته فيها .

ومن هنا وضعت يدي على نوع من الشعر له صلة بالحياة، ويتفاعل معها، وهو : (شعر الأسرة في العصر الأموي) ولقد اخترت العصر الأموي لسببين رئيسيين، الأول : أن هذا العصر قريب العهد من عصر التدوين، فهو يقوم على دعائم أكثر اطمئناناً من سابقه . والسبب الآخر : هو الكشف عن وجه آخر للعصر الأموي في شعر وجداني مداره الصدق، لم تطمس معالمه الأحداث التاريخية، والصراعات السياسية.

وقد أفضت هذه الرسالة إلى نتائج مهمة، كان منها : أن العصر الأموي ساده الوئام الأسري بخلاف ما عرف من العصر نفسه من الصراعات السياسية، والثورات المتعددة . وهذا يعكس مدى دور الأسرة في ضبط موازين الحياة والمجتمع . كما يدل على أن شعر الأسرة كان متطلباً وجدانياً من متطلبات الحياة، حيث وجد فيه الشعراء السكن النفسي، والدفء العاطفي الذي يتفيؤون ظلاله كلما أعيتهم متاعب الحياة وهمومها

وقد سعدت جداً بهذه الدراسة حيث قادتني إلى اكتشاف معلم أدبي جديد، هو (غزل الحليلة) وهو غزل لم يسلط أحد الضوء عليه، مع أنه واضح المعالم، ويعد بحق : البعد الثالث للغزل في الأدب العربي إزاء اللونين الآخرين : العذري والصريح لا سيما وهو معاصر لهما زمنياً ومكانياً . وقد أطلقت عليه (غزل الحليلة) مقابل (غزل الخليلة) الذي يمثله الغزلان الآخران، سواءً كان عذرياً أم صريحاً، فهما غير جائزين شرعاً، لهذا يندرج هذا الغزل بقوة في أثناء الأدب الإسلامي شكلاً ومضموناً . وهو قد شكل مطلباً حيوياً، ومنطلقاً مشروعاً للتعبير عن مشاعر الحب والود ؛ ولا غرابة أن تحتل الزوجة هذه المكانة من قلب زوجها وعطفه، فهي النصف المكمل للرجل، فبها تكتمل سعادته، ومعها ينشأ مجتمعه الصغير، وبمساندتها يتغلب على صعاب الحياة، وإليها يفضي عندما تثقل كاهله هموم الحياة . وهي عونه في السراء والضراء . وهي فوق هذا وذاك سكن نفسه، يتفيأ معها ظلال المودة والرحمة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(سورة الروم-٢١).

وقد استغرب بعض الناس أن يتغزل الزوج بزوجته، لأن الغزل يحتاج إلى معاناة وجدانية تلهب خيال الشاعر وأحاسيسه، وقد رددت على هؤلاء من واقع النصوص بأنّ أوضح ظاهرة في شعر الأسرة سواء على صعيد النصوص الشعرية أم على صعيد الشعراء، كانت ظاهرة (غزل الحليلة) إذ بلغ عدد الشعراء القائلين فيها ثلاثة عشر شاعراً كان منهم ستة من المشهورين . حتى إن أحدهم وهو (هدبة بن الخشرم العذري) قد صدر أكثر شعره رسائل ودية إلى زوجته، حتى قضى في السجن عدة سنوات، كانت مصدر بثه وسلواه . هذا فضلاً عن أن كثيراً منهم كان يستشعر الحنين والشوق لزوجته وصغاره، وهو بعيد عنهم إما في ميادين الجهاد، أو لطلب الرزق، أو السعي لنيل العلم، وسوى ذلك .

ومما لفت نظري أن هذا الشعر تميز بخصائص فنية عن الغزلين الآخرين، فمثلاً كان شاعر غزل الحليلة يعتد بنسب زوجته وأصالتها، وحبها له، وحنانها عليه، بحيث لا يطول غيابها عنه، في حين كانت توصف الأخرى بهجرانها وإخلافها وعدها، فضلاً عن أنه لا يعتد بنسبها وكرم منبتها !!

ومن ناحية أخرى كان يصور جمالها من ناحية أمومتها، فيشبهها بالغزالة التي تحنو على ولدها لتخلصه من شوك شجر السلم، ذلك الشجر الذي يعشق الغزال الاختباء فيه، لكنه يغوص فيه، فيصف

د. رجاء محمد عودة في سطور

- من مواليد دمشق ١٩٣٩م.
- حصلت على البكالوريوس في الآداب من جامعة الرياض ١٤٠٠هـ.
- وعلى الماجستير في اللغة العربية من جامعة الملك سعود ١٤٠٧هـ.
- وعلى دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية وآدابها من جامعة الملك سعود ١٤١٦هـ.
- تعمل أستاذاً مساعداً في قسم اللغة العربية بمركز الدراسات الجامعية للبنات في كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض.
- رئيس لجنة الأديبات في رابطة الأدب الإسلامي العالمية ١٤٢٣هـ.

جمال وطول عنقها من خلال هذا الامتداد الحاني على وليدها.

ومن النتائج الأخرى التي أبرزتها الدراسة: شخصية المرأة في العصر الأموي: وهي شخصية المرأة الفصيحة البليغة، ذات الشخصية القوية التي حددت مسار حياتها وفق إرادتها، وتحقق إنسانيتها، مما جعلها معلماً بارزا لمرحلة حضارية متطورة، سبقت فيها كل المؤتمرات الدولية للمرأة بعدة قرون! ولعلي قد أطلت في الحديث عن مضمون رسالة الماجستير، لكنني أجد أن بيان هذه السمات ضرورية لإبراز مكانة تراثنا الأدبي الإسلامي ومعالمه الحضارية في عصر العولمة !!

*** وماذا عن رسالتك للدكتوراه واهتماماتك فيها ؟**

أما رسالة الدكتوراه والتي وسمت بعنوان (أدب البنوة في نثر العصرين الأموي والعباسي الأول) فهي معلم آخر من معالم تراثنا الحضاري الإسلامي، ولن أطيل في بيان ما توصلت إليه من نتائج، ولكنني سأنوّه بملمحين بارزين، الأول :أن هذا الأدب الذي مرت به مئات السنوات من (٤١-٢٣٢هـ) مازال أخضر نديا يعايش حياتنا، ويخالج وجداننا، ويمس قضايانا، ففي الوقت الذي صور علاقات الآباء بأبنائهم، وحكى حكمتهم وتجاربهم من خلال : الوصايا والرسائل، والخطب، والأمثال، والحوارات، عني أيضاً بتكوين الناشئة الذين هم حجر الزاوية في بناء الحضارة، وأجال نظره في كافة ميادين نشاطهم، فعبر بذلك عن مرحلة ناضجة للفكر الإنساني في تشكيل الشخصية السوية المتوازنة.

وإذا كانت قيمة التراث تقاس بمدى ما يستطيع رفد الحياة المعاصرة بمقومات بناء حاضرها ومستقبلها، فأحسب أن هذا الأدب قادر على الإسهام في ذلك، لأن له سابقة ومثالاً، فقد عني بتكوين أولئك الرواد الأوائل للحضارة الإسلامية، أمثال : عبد الملك بن مروان، وابنه الوليد، وعمر بن عبد العزيز، وهارون الرشيد، وابنه المأمون، وسواهم، لأن هذا الأدب دار حول هذه الشخصيات وصدر عنهم، فكان كثير من الخلفاء والولاة والقواد مستقبلاً ومرسلاً للتوجيهات البنوية، إلى جانب أن هذا الأدب شكل ركيزة من ركائز التراث الأدبي، لاحتوائه على غالبية الألوان النثرية التي شكلت النثر العربي في حقبة شملت نضج النثر العربي وازدهاره.

أما الملمح الثاني لأهمية أدب البنوة فهو : القيمة المرجعية للنصوص البنوية على صعيد الدراسات الإنسانية الأخرى : التاريخية والاجتماعية والتربوية، فعلى صعيد الدراسات التاريخية تعد النصوص البنوية وثائق تاريخية سياسية هامة، شكلت أحداث العصر، وأنظمة الحكم فيه، وقدمت الأطروحة المنهجية للسلطة النموذجية لقيادة الأمة، على مستوى صلاح الراعي والرعية.

وعلى صعيد الدراسات الاجتماعية عنيت النصوص بالتنشئة الفردية والاجتماعية، كما طرحت قانون التكافل الاجتماعي يعززه قانون العقوبات لصيانة هذا القانون من التهاون والإهمال. فضلاً عن كشفها عن التغير الاجتماعي الذي واكب مسيرة المجتمع العربي من العصر الأموي إلى العباسي.

وعلى نطاق الدراسات التربوية استطاعت النصوص البنوية التأصيل لمنهج تربوي متكامل على مستوى النظرية والتطبيق؛ إذ حققت المفهوم الشامل للتربية باعتبارها عملية تنمية للشخصية الكاملة المتوازنة. وهذا المنهج التربوي سوف يحقق تطلعات وآمال خبراء التربية الإسلامية في إيجاد مناهج تربوية إسلامية، دون اللجوء إلى النظريات الغربية التي قد تتنافى مع قيمنا الإسلامية، وهو على هذا يعد موضوعاً خصباً لدراسة تربوية مقارنة.

*** هل تقول د. رجاء إن الأدب الإسلامي له وجوده القوي في أغراض أخرى غير أدب الدعوة الإسلامية المباشر ؟ وبالتالي هل يمكن أن نقول : إن الدعوة إلى الأدب الإسلامي اليوم ليست دعوة إلى شيء جديد بل هي إبراز وتأكيد لما هو موجود؟**

أولاً: إن الأدب الإسلامي هو أدب حياة، لأن الأدب لا ينفصل عن الحياة، بل هو مرآتها، وصورتها التقويمية الفنية بصورة فنية موحية. وليس هناك أفضل من الإسلام كمعيار تقويمي للحياة، لأنه منهج الله الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (سورة فصلت - الآية ٤٣). وهو منهج الخالق لخلقه الذي

يعلم وحده ما ينفعهم وما يصلحهم . وهل هناك أحد يستطيع أن يضع منهجاً لصنعة أفضل من صانعها .

فالأدب الإسلامي هو هوية الأديب المسلم . وعندما ينطلق هذا الأديب في تعبيره أياً كان موضوعه من رؤية إسلامية، وبصورة تعبيرية موحية، يعد هذا الأدب أدباً إسلامياً بكل أبعاده الجمالية والموضوعية طالما أنه لم يخالف التصور الإسلامي . وهذا يوضح لنا أن الأدب الإسلامي لا ينحصر في إطار الدعوة الإسلامية، شعراً كان أم نثراً، وإن كنا نعتز بهذا الأدب الهادف لخدمة الدعوة ؛ ذلك الأدب الذي كان ركيزة في نصرة الإسلام، ومنافحاً عن حياض الشريعة والعقيدة، في كل زمان ومكان، وقد لا أبالغ إذا قلت: إن الأدب الإسلامي الدعوي بصورته التعبيرية الموحية يحقق غاية خلق الإنسان، وواجب العبودية لله، وذلك بأداء حق أمانة الاستخلاف في الأرض التي هي في أجلى مظاهرها : الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى

ثانياً : إن الدعوة إلى الأدب الإسلامي ليست بدعاً من القول، أو بعبارة أخرى ليست دعوة إلى شيء جديد ؟ بل هي إبراز ومعايشة وتفاعل لما نؤمن به عقيدة، وسلوكاً، ونظام حياة . فكما قلت: إن الأدب الإسلامي هو هوية المسلم، أياً كان موقعه، ودرجة التزامه، فيكون معبراً عن ذاته وانتمائه ورؤيته ونظرته للحياة .

*** ما رأي د. رجاء بقيام رابطة الأدب الإسلامي العالمية بعقد الملتقى الدولي الأول للأدبيات الإسلاميات بالقاهرة، وهل شاركت في هذا الملتقى، وبماذا أسهمت فيه؟**

يعد هذا المؤتمر معلماً بارزا من معالم الأدب الإسلامي، ورسوخ قدمه على الساحة الإسلامية والعالمية . فهذا المؤتمر الدولي الذي عقد لأول مرة على مستوى العالم الإسلامي قد حقق ثماره الطيبة، بتفعيل دور المرأة المسلمة على مستوى التنظير والتطبيق ؛ فعلى مستوى التنظير حقق بينها وبين الرجل المساواة في الإنسانية التي منحها لها الإسلام، فأتاح لها الحضور والمشاركة في المؤتمرات والندوات، بإبداء رأيها، واحترام فكرها . ومن الناحية الأدبية فقد حقق هذا المؤتمر ولأول مرة الفرصة لتقويم أدب المرأة المسلمة سلباً أو إيجاباً، أو بعبارة أخرى : تقويم هذا الأدب ماله وما عليه . وقد تم ذلك من خلال محورين : -

الأول : بيان أن الحركة الأدبية النسائية - بوجه عام - لم تنهض على أسس إسلامية، إذ بدأت هذه الحركة تتجاذبها التيارات الفكرية الغربية، بشتى توجهاتها تلك التي كان منها الدعوة لتحرير المرأة، ومساواتها بالرجل، ونبذ الحجاب، والدعوة إلى الاختلاط، وما إلى ذلك . فكان هذا المؤتمر وسيلة لتسليط الضوء على هذه التوجهات الأدبية وتياراتها الفكرية، وما آلت إليه حال المرأة نتيجة ذلك !!

وتمثل المحور الأول بتقديم نماذج أدبية لبعض الأديبات الإسلاميات اللواتي كان أدبهن منبثقاً عن المنظور الإسلامي، فكان لأدبهن تأثير بالغ في تنشئة الأجيال .

أما المحور الثاني : فطرح من خلاله تحديد دور الأديبة الإسلامية، وتذليل ما قد يعترض طريقها من صعوبات.

وقد طرح في هذا المؤتمر أكثر من ثلاثين بحثاً تم فيه إلى جانب تقويم أدب المرأة ماله وما عليه موضوع (الأديبة الإسلامية وأدب الطفل) طرح من خلاله عدة بحوث تبرز ضرورة اقتحام ميادين الكتابة للأطفال بصياغات جديدة تخاطب الأطفال برؤية معاصرة مواكبة لمتغيرات الحياة، بحيث تكون مبشرة بالإسلام، ومحافظة على ثوابته وقيمه .

وقد سعدت بالمشاركة بهذا الملتقى ببحث عنوانه: (الأديبة الإسلامية وقضايا الأمة، سهيلة زين العابدين - نموذجاً-

وقد حقق هذا الملتقى بفضل الله، ثم بجهود القائمين عليه أهدافه التي فاقت كل التوقعات، وأخص بالذكر جهود مكتب القاهرة وجهود الدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الذي بذل جهداً جباراً لعقده، وترتيبات نجاحه، وكذلك الأخت الأستاذة سهيلة زين العابدين حماد الرئيسة الأولى للجنة الأديبات الإسلاميات، ورئيسة اللجنة التحضيرية للملتقى . وقد جاءت جلسات الملتقى تعمها روح الأخوة الإسلامية الحقيقية التي نفتقد أجواءها في كثير من الندوات والملتقيات الأخرى . ■